أين أنتم يا معشر الأدباء؟!

يجمع كل من أوتي أدنى إحساس بالواقع ، وأدنى شعور بالمسؤولية على أن الأمة لم تمر في تاريخها بمثل ما تمر به الآن من فتن كقطع الليل المظلم، لا يبين لها أول ولا آخر، ولا يجمع بينها عنوان واحد، وقل كل ما يخطر في الذهن من الوهن الذي أصاب الأمة على مختلف طبقاتها، ومن التمزق الذي أصاب دولها وشعوبها، ومن قابلية الاستعمار التي جعلت الأمم تتداعى عليها تداعي الأكلة على قصعة الطعام ، كما حذر وأنذر رسولها الكريم ﷺ .

وإذا صح ما يقال من أن التاريخ يعيد نفسه ! فها نحن أولاء نجد مآسي الأمة عبر القرون المتوالية تعود كلها مجتمعة في صعيد واحد ، يأخذ بعضها برقاب بعض، وهي تتدافع في موجات تتعانق أو تتلاحق ، وكأن شياطين الإنس والجن أطبقت إطباقة واحدة على من كانت خير أمة أخرجت للناس .

وانظر إلى أمة العرب بل وأمة الإسلام هل تجد بلدا سالما من فتنة عمياء أو بلاء قاصم، أو استعمار جاثم، وقد ضاعت أصوات المصلحين بين صيحات المضللين ، واختلطت آراء الحكماء الراشدين بمبادرات المغرضين ومكر الماكرين وفتن الطائشين.

وإنه لما يلفت النظر ويحز في القلب أن أكثر الأصوات خفوتا ، وأقلها وجودا وذيوعا هي أصوات الأدباء من الكتاب والشعراء وكأن مصيبة الأمة الدهياء عقلت ألسنتهم، وجمدت قرائحهم، ومعظمهم يعلمون وأقلهم يجهلون كيف كان شعراء الرسول ﷺ يلهجون بهجاء كفار قريش ويهود، وكيف كان بعدهم شعراء الأمة يخوضون المعارك بألسنتهم قبل أن يخوضها المجاهدون بأسنتهم.. وكان ذلك في معارك المسلمين مع الروم والتتار والصليبيين إلى معارك الأمة في العصر الحديث مع جحافل الغزاة والمستعمرين .. ولم يكن ذلك أبدا وقفاً على الشعراء وإن حازوا قصب السبق، ولكنه تعداهم إلى الخطباء والكتاب حتى أكد ذلك صلاح الدين الأيوبي إذ قال بعد أن خضَد شوكة الصليبيين مما يعد وساما على صدورالكتاب : «والله ما أخذت البلاد بالعساكر بل برسائل القاضي الفاضل»..

وبعد.. أفليس من حق الأمة على شعرائها وخطبائها وكتابها أن تقول : أين أنتم يا معشرالأدباء؟!..

رئيس التحرير